**الاستاذة لمى الريس(الجمهورية العربية السورية)**

# حماه.. مدينة الورد والحب

**تمهيد:**

كثيراً ما كنتُ أمرُّ من هنا، حينما صادفتُ في طفولتي ولأول مرة ذلك الدولاب المائي الكبير، كان يحملُ في حناياهُ صناديق الماء الصغيرة على امتداد محيطهِ الدائري، ثم يُدلي بمائهِ في سواقي تلك القناطر المتشابكة معاً كحلقات الدبكة الشعبية. شيءٌ مثيرٌ للدهشة، يخال للمرء أن يداً خفية تدفع بهذا الدولاب الكبير ليستمر بالدوران وهو يعزف سمفونية روحانيةٌ تأخذُ بألباب القلوب، إنه الناعورة. وسميت بهذا الإسم لنعير صوتها الشجي فكلما فاض نهر العاصي بوفرةِ مائهِ، دفعها لتدور أكثر و بسرعةٍ أكبر. تاركاً لنا متعةُ الإصغاء لها، مع جمال المنظر الأخاذ.

هي مدينة النواعير، وعروسٌ على ضفاف العاصي، إنها مدينة أبي الفداء التي كانت حاضرةً مع التاريخ، ولم تنضب حكاياتها إلى اليوم، وإن كانت تحمل في جعبتها جراحاً لم تلتئم بَعد، عبرَ الحروب المتعاقبة عليها.. هي مدينة السحر والجمال، رابع المدن السورية أهميةً وسكاناً، وبها تغنى شعراء كثر؛ منهم من كان يعبرها كرحالة، ومصطاف، ومنهم من كان من أبناء المدينة الأصليين.

سنرى في هذا البحث العناوين التالية:

1- الموقع والتسمية.
2- النواعير.
3- القلعة.
4- الجسور.
5- الجوامع الأثرية والكنائس.
6- الخانات والحمامات.
7- الأحياء القديمة والأسواق.
8- القصور.
9- أبواب المدينة القديمة.

## أولاً: الموقع والتسمية:

تقع مدينة حماه على نهر العاصي، بإرتفاع 270 متراً عن سطح البحر، وتبعد عن العاصمة دمشق 210 كلم إلى الجنوب، وعن مدينة حلب 135 كلم إلى الشمال.

ولفظة حماه تعني قلعة أو حصن. وفي اللغات الشرقية يسمى الحصن (حامات). وتعود التسمية إلى قلعتها. وأطلق عليها في زمن السلوقيين سنة 301 إسم "ابيفانيا" نسبة إلى الإمبراطور أنطيوخس أبيفانيوس .كما أطلق عليها مدينة النواعير، نظراً لإنفرادها عن بقية مدن العالم بوجود نواعير بهذا الحجم والعدد على ضفاف نهر العاصي.

دعيت حماه بمدينة أبي الفداء، نسبة إلى ملكها الأيوبي، العالم المؤرخ والجغرافي الكبير، الذي قرأ الأدب وأصول الدين، واطلع على كتب الفلسفة والطب وعلم الهيئة، ونظم الشعر وأجاد بالموشحات. وهو عماد الدين إسماعيل بن علي، الملقب بأبي الفداء الذي تولى حكم حماه في العام 710هـ/1310م. والذي دفن عام 732هـ/1331م في مسجده المعروف بإسمه تحت قبة تقع في الطرف الشمالي من المسجد.

وصفها الرحالة إبن بطوطة بقوله: "ثم سافرت إلى مدينة حماه إحدى أمهات الشام الرفيعة ومدائنها البديعة، ذات الحسن الرائق والجمال الفائق، تحفها البساتين والجنات، عليها النواعير كالأفلاك الدائرات، يشقها النهر العظيم المسمى العاصي". ووصفها الرحالة إبن جبير الأندلسي فقال: "إنها مدينة شهيرة في البلدان، قديمة الصحبة للزمان، حتى إذا جست خلالها ونفرت ظلالها أبصرت بشرقيها نهراً كبيراً تتسع في تدفقه أساليبه وتتناظر في شطه دواليبه، وقد انتظمت طرفيه بساتين تتهدل أغصانها عليه".

## ثانياً: النواعير:

لا يمكن ذكر مدينة حماه دون استحضار صورة النواعير الشهيرة، التي بناها الرومان أثناء حكمهم لها، وإن كانت بعض الدراسات التاريخية تتحدث عن وجود نواعير من زمنٍ أسبق، ومن أشهر الآثار التي أثبتت قِدم النواعير لوحة فسيسفاء اكتشفت في شارع الأعمدة في مدينة أفاميا الأثرية ويعود تاريخها إلى عام 420م، وماتزال اللوحة موجودة اليوم في متحف دمشق الوطني.

كانت مدينة حماه تحتوي على 116 ناعورة في بداية القرن السادس عشر، إندثر معظمها وبقي منها 17 ناعورة فقط ضمن مدينة حماه وناعورتان في شيزر. في بداية القرن العشرين، كان عدد النواعير في مدينة حماه والأراضي التابعة لها 105 نواعير منها 25 داخل مدينة حماه نفسها ولم يعد يوجد اليوم من كل هذه النواعير إلا حوالي 40 ناعورة. في حالة العمل منها داخل المدينة 17 ناعورة تنتظم في أربع مجموعات .

إرتفعت هذه النواعير التي تعتبر من أبرز المعالم التاريخية والأثرية، على ضفاف نهر العاصي الذي يعتبر شريان المدينة الحيوي. حتى تطل عليه مساحات واسعة من البساتين والمناطق الخضراء، التي أضفت على المدينة ألقاً وجمالاً.

فالناعورة هي آلة مائية ذات حركة دائمة معدة لرفع الماء. يعود تاريخ بنائها إلى الآراميين وهي مؤلفة من أخشاب ومسامير حديدية تغطس بالماء وصناديقها منقلبة فارغة وترتفع ملآنة وتصب الماء في قناة ذات قناطر متعددة وتسقي به البساتين، وأكثر الحمامات وبعض الدور والجوامع والخانات والمقاهي.

- مجموعة نواعير البشريات: تقع في مدخل حماه من جهة الشرق (طريقة السلمية) وتضم أربع نواعير هي: ناعورتا البشرية الكبرى والبشرية الصغرى، والعثمانيتان.
- مجموعة الجسرية:

1- الناعورة الجسرية: نسبة إلى جسر المراكب (جسر السرايا القديمة) وكانت تسمى ناعورة اليزبكية.

2- الناعورة المأمورية: نسبة إلى أمير كافل حماه بلياك عام 857هـ ومكانها حي الطوافرة.

3- ناعورة العثمانية: نسبة إلى عثمان باشا وكانت تسمى ناعورة المسرودة.

4- ناعورة المؤيدية: نسبة إلى المؤيد بن نصوح باشا العظم.

- مجموعة جسر عبد القادر الكيلاني:

1- ناعورة الجعبرية: كانت تسمى ناعورة البيمارستان.

2- ناعورة الصاهونية: نسبة إلى الشيخ محمد بن محمد الخطيب الشهير بإبن صاهون الذي بنى الناعورة والبساتين المجاورة والمدرسة فسميت بإسمه.

3- ناعورة الوسطانية: ومكانها بين ناعورتي الجعبرية والصاهونية.

4- ناعورة الكيلانية (الباز): نسبة إلى الزاوية الكيلانية.

- مجموعة باب النهر:

1- ناعورة الخضر أو اليخضورة: نسبة إلى بستان اليخضورة.

2- ناعورة الدوالك: نسبة إلى بستان الدوالك.

3- ناعورة الدهشة: نسبة إلى بستان الدهشة.

4- ناعورة المحمدية: أكبر ناعورة وقطرها 21 متر ومكانها في باب النهر.

5- ناعورة القاق.

**ثالثاً: القلعة:**

تقع وسط المدينة وتعتبر من أهم التلال الأثرية لما تحتوي في باطنها من آثار والتي تم المحافظة عليها، ويرتادها السواح العرب والأجانب لما لها من أهمية تاريخية وسياحية. بنيت القلعة خلال القرن الثالث قبل الميلاد في عهد الملك سلوقس الذي أعاد بناءها على جبل القلعة القديم على غرار قلعة حلب، حيث يحيط بها الخندق الذي يملأ بماء العاصي عندما يداهم القلعة الأعداء. ويقع فوق الخندق خمسة جسور تصل باب القلعة وما يلي الخندق، تهدمت في زلزال حماة الكبير عام 1157م.

**رابعاً: الجسور:**

يقسم نهر العاصي مدينة حماه إلى قسمين هما: السوق (جنوب غرب العاصي) والحاضر (شمال شرق العاصي) ويتصل القسمان بواسطة ستة جسور وهي:

1- جسر باب النهر: ومكانه مقابل ناعورة المحمدية ويصل بين البساتين الدهيشة على يمين النهر وحي المدينة على يسار النهر.
2- جسر الهوى أو الجسر الكبير: وطول هذا الجسر قديماً 40 متراً وعرضه 4 أمتار زيد إرتفاعه فأصبح طوله 53 متراً وعرضه 5.25 متر.
3- جسر بيت الشيخ: نسبة إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني وكان يسمى الجسر الأفضل نسبة إلى بانيه الملك الأفضل في أوائل القرن الرابع عشر ميلادي ويصل بين الحيرين وبستان السعادة وطوله 40 متراً وعرضه 5.30 متراً، وهو جسر حجري مؤلف من خمس قناطر.
4- جسر السرايا: وكان يسمى جسر المراكب ويعود تاريخ بنائه إلى حوالي 400 سنة مضت، وطوله 46 متراً وعرضه 8 أمتار، وهو جسر حجري مؤلف من سبع قناطر.
5- جسر شفيق العبيسي: وهو جسر حجري أنشئ عام 1952م بطول 32 متراً وعرض 17 متراً.
6- جسر الأربع نواعير: أنشئ عام 1984م بطول 48 متراً وعرض 41 متراً، وهو ذو ثلاث فتحات عرض الفتحة 16 متراً.

**خامساً: الجوامع الأثرية والكنائس:**

1- الجامع الكبير: وكان يسمى الجامع الأعلى ويقع في حي المدينة بني في بدايته كمعبد روماني للآله (جوبيتر) ثم حول بالكامل إلى كاتدرائية، تسمى كاتدرائية يوحنا فم الذهب، وقد حوّله أبو عبيدة بن الجراح عام 17هـ/638م من كاتدرائية إلى جامع وأقيم فيه في عهد زين الدين كتبغا عام 1301م منبر خشبي يعد آية في جمال الحفر والنقش، ويعتبر خامس أقدم مسجد في الإسلام.

2- الجامع النوري: وكان يسمى الجامع الأدنى ويقع مقابل حي الكيلانية. بناه نور الدين الزنكي عام 558هـ/1163م، وللجامع ثلاثة مداخل ومئذنة مربعة. وفي عهد نور الدين الشهيد تم تصنيع منبرين جميلين جداً، أحدهما مازال في حماه والآخر إحترق على يد الصهاينة المغتصبين في المسجد الأقصى عام 1969م.

3- جامع أبي الفداء: يقع في حي باب الجسر، بناه أبو الفداء ملك حماه عام 726هـ/1326م، ويعرف بإسم جامع الحيات بسبب وجود أعمدة منحوتة على شكل حيات.

4- جامع السلطان: يقع في حي الدباغة، بناه السلطان حسن شقيق الملك أبي الفداء.

5- جامع الحسنين: يقع إلى الجنوب من القلعة، ويعرف بجامع الحسين. بني في القرن الرابع الهجري، ثم أعيد بناؤه من قبل نور الدين زنكي بعد أن تهدم بزلزال عام 522هـ.

6- كنيسة حماه القديمة: بنيت في العصر الآرامي كما دلت إكتشافات القاعدة الحجرية لتمثال أسد منحوت من الحجر البازلتي خلال أعمال الترميم التي جرت لبناء الكنيسة. وكانت عبارة عن معبد للإله الآرامي "هدد" أو "حدد"، الإسم الذي يعني المفرد أو الواحد أو الكبير. ثم حولت إلى كنيسة في العهود الأولى للمسيحية خلال القرن الثالث الميلادي، ومازالت مستخدمة حتى الآن.

## سادساً: الخانات والحمامات:

الخانات:

1- خان أسعد باشا العظم: يقع بالقرب من باب البلد في مدينة حماه. وقد بناه أسعد باشا العظم عام 1164هـ/1751م.

2- خان رستم باشا: يقع في شارع المرابط في مدينة حماه. يرجع تاريخ بنائه إلى عهد السلطان سليمان الأول العثماني، ويوجد داخله مسجد.

وهناك خانات كثيرة بنيت في سوق الطويل مثل خان الحنة وخان الجمرك وخان الصحن.. وفي منطقة الحاضر خان برهان وخان عجيل.

الحمامات: كان يوجد في حماه ستة عشر حماماً، ومازال قائماً منها:

1- حمام الدرويشية: في محلة المرابط، بناه بنو الأعوج.

2- حمام الاسعدية: في سوق المنصورية (سوق الطويل)، وقد بناه أسعد باشا العظم.

3- حمام العثمانية: في حي الطوافرة، وهو منسوب إلى عثمان باشا.

4- حمام السلطان: شمال جامع النوري، بناه الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر. وكان حمامه الخاص به، وحالياً سيتم ترميم هذا الحمام ووضعه في الإستثمار.

5- حمام المؤيدية: في حي الطوافرة، وهو الحمام الخاص بقصر العظم، وتنسب إلى مؤيد باشا العظم.

6- حمام الحلق: في حي الدباغة.

7- حمام العبيسي: في البارودية، بناه المؤيد عماد الدين أبي الفداء.

## سابعاً: الأحياء القديمة والأسواق:

يوجد العديد من الأحياء القديمة في مدينة حماه أهمها: حي الطوافرة الذي مازال يحافظ على نسيجه العمراني يرتاده الكثير من السياح. ويوجد أحياء أخرى مثل حي الباشورة وحي المدينة وحي العبيسي.

كما تزخر حماه بالعديد من الأسواق التاريخية التي تكثر بصورة كبيرة في القسم الجنوبي من المدينة أهمها:

1- سوق المنصورية: نسبة إلى المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر الأيوبي الذي ملك حماه بعد والده المظفر وبنى هذا السوق ويسمى حاليا بسوق الطويل.

2- سوق البرهان: يشبه سوق المنصورية ويقع في منطقة الحاضر.

وتوجد أسواق أخرى منها: سوق النحاسين- سوق الحدادين- سوق الجزماتية- وكان عددها في القرن الثاني عشر الميلادي خمسين سوقا.

## ثامناً: القصور:

كان في مدينة حماه عدد كبير من القصور أهمها: قصر أسعد باشا العظم هو متحف حماه الوطني حالياً، شرع ببنائه عام 1153هـ/1740م أسعد باشا العظم وتابع البناء إبن أخيه نصوح باشا وأتمه إبن الأخير المدعو مؤيد العظم بين عام 1239-1245 هـ/1824-1830م. ويتألف من أربعة أقسام: الحرملك مخصص للنساء - السلاملك مخصص للإستقبال والضيوف - الحمام - الإسطبل) وقد حول القصر إلى متحف عام 1375هـ/1956م.

وهناك قصور كبيرة بنيت من قبل أثرياء حماه في العهود القديمة وكلها مازالت قائمة، يقع معظمها في حي الطوافرة وحي العبيس.

## تاسعاً: أبواب حماه القديمة:

1- الباب الغربي: وسمي بهذا الإسم لوقوعه في القسم الغربي من السور في أرض العشر، وذكره أبي الفداء في حوادث سنة 957-958 هجرية.

2- باب المغارة: يقع في الجراجمة، وذكره أيضاً أبو الفداء في تاريخه لحوادث سنة 626 هجرية، وذكرته سجلات المحكمة الشرعية في حماه عام 929 هجرية.

3- باب النهر: وسمي بهذا الإسم للخروج منه إلى نهر العاصي في محلة المدينة.

4- باب القبلي: في جنوبي سور المدينة، ذكره أبو الفداء في حوادث عام 697 هجرية.

5- باب العميان: وسمي بهذا الإسم لكثرة خروج العميان منه إلى سوق المنصورية (سوق الطويل حالياً) لشراء حاجياتهم.

6- باب العدة: ومكانه جنوبي قلعة حماه قرب مكان النبي حام. وسمي بذلك لإدخال عدة القتال منه إلى القلعة، وقد ورد ذكره في سجلات المحكمة الشرعية في حماه سنة 969 هجرية.

7- باب الجسر: يقع في الجهة الشمالية الغربية، وله باب آخر من جهة القبلة.

8- باب حمص: يقع في شرقي محلة الباشورة، وسمي بذلك لخروج من يريد السفر منه إلى حمص.

9- باب النصر: مجهول موقعه، إلا أن أبا الفداء ذكره في تاريخه لحوادث سنة 626 هجرية.

10-باب النقفي: يقع شرقي قبو الطيارة الحمراء عند قبو بين الحيرين، وورد إسمه في تاريخ أبي الفداء أيضاً في كتابته عن أحداث سنة 691 هجرية.

11-باب البلد: ويقع في جنوب سوق الطويل في الطريق المؤدية إلى ساحة الشهداء.

12-باب طرابلس: ويقع في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة.

وقيل أن هناك عدة أبواب أخرى لكننا لم نجد لها أثراً في كتب التاريخ (باب العرس وهو كما يقولون أحد أبواب سوق المنصورية – الطويل، وباب الناعورة قرب جامع النوري).

**الخاتمة:**

مدينتي مدينة الورد، والعشق، تتكئ على خاصرة عاصيها، وتتعمد بشلالاتهِ، لتنشد مع نواعيرها سمفونية الحياة. إنها مدينتي مهما طال الحديثُ عنها يبقى قصيراً، هي مدينةُ الشعر والشعراء، تنامُ وتصحو على أنينِ نواعيرها منذُ سالفِ العصور والأزمان، لتغازل عاصيها في كل دورةٍ من دورانها لتحيا على صوتِ الخرير. ونحن ما زلنا نردد مع الشاعر المعاصر الحموي منذر لطفي الذي يقول:

دارت غنت ما أحلاها نهرُ العاصي قبلَ فاها

ما أحلاها

الوادي الأخضر يبتسمُ وصدى الناعورةِ يرتسمُ

الوقتُ ربيع والروض بديع

أنسامُ الروضِ تبادلها أحلى الأشعار

ورذاذُ الماءِ يغازلها ليلاً و نهار

تشدو طرباً تهوى اللعبا

تعطي أبداً زهراً وندى